جامعة البصرة
كلية التربية علوم إنسانية
قسم التاريخ
الدراسات العليا

الاحتلال العثماني للبصرة ١٥٤٦

إعداد
أ. د .جعفر عبد الدائم المنصور
طالب الدراسات العليا / احمد عبد الرزاق حميدان

٢٠٢٠_٢٠٢١

المقدمة

ابتدأ بحثي بحمد الله تعالى وتفضله وتوفيقة لي لكتابة هذا البحث المتواضع ،ابتدأت البحث بالنظر هل خضعت البصرة للغزو الأجنبي لمدة طويلة من الزمن سواء كان هذا الغزو من قبل الدولة العثمانية او من قبل الدولة الصفوية وعلى ما يبدو بأن البصرة لم تخضع للحكم الصفوي او العثماني لمدة طويلة من الزمن وإنما خضعت لمدة قصيرة كون ان البصرة كانت بيد القبائل العراقية التي أظهرت قوتها في الدفاع المستميت عن البصرة مع سكان مدينة البصرة.

قسمت بحثي إلى فصلين وكل فصل ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول من الفصل الأول كيف كانت أوضاع البصرة قبل الاحتلال العثماني وماهي الدول التي اخضعت البصرة لحكمها قبل مجيئ القوات العثمانية، ولم يقتصر على هذا الأمر دون ذكر أوضاع البصرة)الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية(إنذاك بصورة مبسطة، اما بالنسبة للمبحث الثاني فقد تناولت فيه أوضاع البصرة منذ الاحتلال المغولي للبصرة وسبب مجيئ المغول ومن تولى مهمة الدفاع عن هذه المدينة وبعدها في نفس الفصل تقدمت للغزو الجلائري للبصرة وبعدها تناولت موضوع الدولة المشعشعية وكيف احتلوا البصرة وبعدها تقدمت لتناول الصفويين واطماعهم القديمة في مدينة البصرة بعدها دخول القوات العثمانية الذي هو موضوع البحث الأساسي ومما تجدر الإشارة الية ان ما تناولته من القوى الأجنبية التي احتلت مدينة البصرة بدا لي هذا الموضوع مهماً من أجل التعريف بأهمية مدينة البصرة ونظرة الدول اليها بأنها مهمة من النواحي الاقتصادية والاستراتيجية.

أما بالنسبة للمبحث الثالث من الفصل الأول فتناولت البصرة في العهد العثماني الأول وكيفية رغبة الدولة العثمانية في القضاء على الدولة الصفوية ونفوذها في العراق الذي شكل تهديداً اساسياً وبارزاً لمصالحهم في العراق، لذلك وعليه قررت الدولة العثمانية شن الحرب وقامت بعدها بتوجية قوات ضخمة بقيادة سليمان القانوني واستطاع طرد حاكم الصفويين من البصرة.

أما المبحث الأول من الفصل الثاني فقد تناولت فيه كيفية رد الصفويي ن الاعتبار من الدولة العثمانية والقضاء على العثمانيين واحتلالهم البصرة لكن نفرة الناس من الصفويين وكرههم لهم ولسياستهم المقيتة في استغلال السكان جعل الناس يتمحورون تحت قيادة ال مغامس لطردهم والقضاء على النفوذ الصفوي لذلك جهزت القوات الصفوية حملة بقيادة محمد علي خان الذي توجة من اجل القضاء على

والي البصرة وقوات العشائر المدعومة من العثمانيين لكنه فشل في هذا الأمر وظلت البصرة تحت حكم القبائل المنتفقية التي تدين بالولاء الاسمي للعثمانين.

أما بالمبحث الثاني من الفصل الثاني تناولت فيه أوضاع البصرة في العهد العثماني وكيفية تعاملهم مع الناس واوضاع الناس الاقتصادية والاجتماعية وكيف كان سكان البصرة ينظرون بعين الكره للبطش العثماني ويعدون العدة للقضاء عليهم وينتظرون المخلص لهذا الأمر، في المبحث الثالث جائت الفرصة المناسبة لسكان البصرة من أجل التخلص من السيطرة العثمانية المقيتة عن طريق مجيئ القوات المسلحة البريطانية في الحرب العالمية الأولى.

القارئ للبحث سوف يجد التنافس العثماني الفارسي ومدى استمراره وتأثيره على مدينة البصرة وكيف هجرها السكان لكن تتبادر في الذهن مجموعة أسئلة ومنها كيف استطاعت الدولة العثمانية والدولة الفارسية الصفوية الدخول إلى البصرة وهل استغلت تعاطف السكان الديني والروحي لتحقيق مأربها؟ ام أنها اعتمدت على القوة العسكرية في تحقيق هذا الأمر؟ وهل كان السكان)سكان البصرة(يفضلون العثمانيين على الصفويين ام ان العكس قد حصل؟ وهل وقف سكان مدينة البصرة مكتوفي الأيدي ويرحبون بالغزوات الاجنبية ام ان المدينة قد شهدت مقاومة عنيفة من سكانها لكلاً من الطرفين ؟ وإذا قلنا انها قاومت الغزوات فهل اعتمدت البصرة على سكانها الأصليين للمقاومة فقط ام أنها استنجدت بالخارج من حدود البصرة وهل لعبت القبائل البصرية دوراً في أبعاد القوى الأجنبية عن البصرة؟ وماهي القبائل التي لعبت دوراً في المقاومة؟

تناولت في هذا البحث مجموعة من المصادر العربية والمعربة وحتى بعض المصادر التي تخص العثمانيين او فترتهم وبعضاً من المصادر التاريخية الفارسية لكن واجهتني مشكلة عدم تعريبها وترجمتها وحاولت قدر المستطاع ان اترجم قسماً منها والاستفادة منها، اتمنى ان ينال هذا البحث والموضوع رضى الأستاذ والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

نظرة عامة عن أوضاع البصرة قبل الاحتلال العثماني ١٥٤٦

ان البصرة لم تخضع للحكم الصفوي المباشر وإنما كانت اساسياً في خاضعة لمجموعة قبائل عراقية ولاسيما قبائل المنتفك التي لعبت دوراً الحفاظ على أوضاع البصرة الهادئة ولم تخضع البصرة للقوى الصفوية والأجنبية ا لا مدة قليلة بسبب كون ان البصرة كانت بيد القبائل العراقية وقوتها في الدفاع عن اساسي اً البصرة وكانت هذه القبائل تتمثل في خفاجة وقبائل المنتفك التي لعبت دور اً في البصرة. وقد لعب ال مغامس دوراً في أبعاد القوى االجنبية عن البصرة بسبب حنكة وذكاء راشد بن مغامس.

خضعت البصرة قبل الاحتلال العثماني للحكم الصفوي التي اخذها اسماعيل الصفو ي من دولة الاق قوينلو(1)في عام ١٥٠٨ وقد خضعت للحكم الصفوي إلى عام ١٥٤٦ .لقد مارس الصفويين الاستغلا ل الاقتصاد ي والتجاري لسكان البصرة من أجل ان يقوموا بنقل خيرات البصرة إلى الدولة الصفوية وقد ادت أعمال الصفويين إلى إهمال الريف وانكار اجزاءة وعدم الاهتما م بها حيث تشير بعض الأبحاث إلى ان اسواق البصرة تشتمل على نشاط اقتصاديا واسع وان إيرادات السوق في البصرة كانت توحي بنشاط تجاري واسع للبصرة وقد تمثل ذلك براحة اهل البصرة التجارية ونشاطه م الاقتصاد ي لدرجة كبيرة. ولقد استمرت النشاطات التجارية والاقتصادية في البصرة في ظل الصعاب العسكرية التي كانت تعيشها البصرة وعلى الرغم من عدم اهتمام الصفويين بالزراعة واهمالهم لها إ لا انها مثلت نشاط تجاري مهم ساعد على نمو التي لعبت دوراً البصرة الاقتصاد ي بع د مجيئ الدولة العثمانية ولاسيما التمور في نمو الجان ب الاقتصادي للبصرة فقد كانت تصدر إلى مجموعة من البلدان في العالم.

اما بالنسبة لأوضاع البصرة من الناحية العمرانية فلم تتطرق المصادر إلى هذه الناحي ة بسبب قلة المصادر التي تذكر هذا الموضوع وندرتها ونستلهم ما يذكره جعفر الخياط حينما وصف يستطيع الناس ترميماً مدينة البصرة وقال (بلدة صغيرة محاطة بسور من الطين وكان مرمم اً عبوره وتضم البلدة اكواخ مبنية من القصب) (٢)

---

(1).الاق قوينلو:يرجع أصل التسمية إلى بعض العادات القديمة والتي أضفت طابعا مقدساً على هذا الحيوان(الخروف) وصلت حد جعله حامي القبيلة وشعارها، أما عرقيا فتنحدر القبيلة من أتراك الأغوز أو ما يعرف بالغز. بلغت الدولة أوجها في عهد أوزون حسن الطويل الذي استطاع القضاء على دولة الخرفا ن السود بعد هزيمة أميرهم جهانشاه سنة 1467 ،ثم هزيمته لحاكم التيموريين أبو سعيد ميرزا في معركة قرهباغ عام 1469م. قام بعدها بالاستيلاء على بغداد والزحف شرقاً حتى خراسان. أقنعه سفير البنادقة م وزحف منتصراً بمهاجمة العثمانيين، فواجههم في أرزنجان عام 1471 لغاية أقشهر الواقعة في محافظة قونية الحالية، إلا أنه هزم أمام محمد الفاتح في معركة وأتلق بلي سنة 1473 .عاشت الدولة أجمل فتراتها أثناء حكم حسن أوزون ثم ابنه يعقوب من بعده، بعد 1490 بدأ الصراع مع الصفويين الذين استطاعوا أن يجلوا الخرفان البيض ع تبريز

سـنة 1501م. بـدأت بعـد ذلـك مرحلـة الانحـلال، اسـتقر آخـر الحكـام ١٥٠٧ انظـر https://ar.m.wikipedia.org

(٢).حسين عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني. دمشق ، ط ٢٠١٢، ص ص ٣٤_٣٩.

المبحث الثاني

التنافس الإقليمي من أجل السيطرة على البصرة

كان الأثر النفسي والعسكري لاجتياح المغول لبغداد واضحاً في المجتمع العراق ي ويتضح ذلك في اساليب الغزاة في استباحة المدن التي قاومت الغزاة وقد هرب مجموعة من سكان بغداد إلى البصرة من أجل الاحتماء بمنطقتهم البعيدة وقد أدى احتلال القوات المغولية للعاصمة العباسيه إلى خضوع البصرة للمغول وقد كان تأثير المغول على البصرة قليل مقارنة ببغداد بسبب بعدها عن قاعدة الحكم المغولي وانشغالهم بحروب متفرقة(١) .

لقد كانت البصرة قد خربت عندما تولى هولاكو حكم بغداد وأسس الدولة الايلخانيه بسبب توالي الفتن في البصرة والحروب وهجمات الأعراب وانهزم أهلها إلى بلدان اخرى كذلك فان هولاكو لم يكن يترك البصرة دون متصرف وحاكم تابع له حيث نج د ان هولاكو صير لها حاكما ولكن البصرة لم تستتب حتى موت هولاكو ٦٦٣ هجرية.

بعد انتهاء حكم المغول لم تسلم العاصمة العباسيه من غزو القوات الجلائرية حيث خضعت حكومة بغداد للغزو الجلائري وقاموا بشن هجمات على البصرة من اجل احتلاله ا. ان من القبائل المهمة التي كان لها دور في صد الهجوم على البصرة هم بنو عقيل وبنو عبادة وبنو اسد حيث نست نتج من هذا الأمر ان البصرة كانت تحكم من قبل مجموعة من العشائر فعلى سبيل المثال يرد اسم الأمير ناصر القباني ومحمود القباني وان الأمير ناصر مد نفوذه الى البطائح الل انه لم يستمر طويلاً حيث نجد ان التيموريين تمكنوا من هزيمته لكن هذا الأمر الذي يعني انهم استطاعوا السيطرة على البصرة حيث نجد ان الأمير مانع امير المنتفق تمكن من استعادة البصرة.

ويبدو ان ميزان القوى في الجنوب كان يميل إلى لواء المنتفق حيث نجد ان عشائر المنتفق استطاعت انتزاع البصرة من الجلائريين وتولى حكمها صالح بن حولان الذي أسر مرناش ابن تيمور لنك ولكن اعادة تيمور لنك الهجوم على صالح ابن حولان أدى إلى هزيمته وميل ميزان القوى لتيمورلنك . بالمقابل لم يستتب الأمر لتيمورلنك في البصرة بسبب نشاط قبائل البصرة كذلك الحركة التجارية في البصر ة لتيمورلنك في البصرة بسبب نشاط قبائل البصرة كذلك الحركة التجارية في البصرة لم تتوقف في العهد الجلائر ي وقد كانت البصرة مركزا لتجارة اللؤلؤ ًوالبهارات تجارياً مهم اً وكذلك التمور ونقلها إلى بغداد وهرمز ومكة والقاهرة وان مانع الذي لقب بأمير العر ب استطاع انتزاع البصرة من الجلائريين ويبدوا ان التيموريين استطاعوا استعادة البصرة ولكن أهالي البصرة تمكنوا من القيام بانتفاضة كبيرة وهزموا التيموريين بعدها عادت المنتفق لتحكم البصرة بزعامة غانم بن يحي(٢).

---

(1).إيناس حسني البهجي، الغزو المغولي لبالد المسلمين، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، ط٢٠١٧، ص١٨٥ .

(٢).علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ البصرة، القاهرة مؤس سة هنداوي للتعليم والثقافة، ص _ص. ٧٥_٩٠

اجتاحت البصرة الاوبئة ومنها الطاعون والكوليرا حيث تناقصت إعداد السكان في هذه الفترة لقد كان الغموض يسود في البصرة في منتصف القرن الخامس عشر فقد سيطر عليها المشعشعون في عهد محمد بن فالح اثر مهاجمة ابنه علي لها لثالث مرات وقد قتل حاكمها على اثرها. لقد كان المنتفق يحكمون البصرة قبل المشعشعون وبانتهاء حكم الخروف الأسود في العقد السابع من القرن الخامس عشر الميلاد ي وبروز اسم الخروف الأبي ض لم يتغير الوضع في البصرة ألن المشعشعون كانوا يسيطرون على الوضع في العراق في عهد محسن بن محمد ولكن حين قوي مركز الخروف الأبي ض شنو حملات فاشله على الإمارة المشعشعية(١) .

لقد استطاع الصفويين احتالل بغداد ١٥٠٨ ودخلت البصرة في السيطرة الصفوية وبقيت كذلك حتى احتلال العثمانيين بغداد وانتصارهم في معركة جالديران ١٥١٤ واحتلاله م تبريز(٢).

ظهر ال مغامس في البصرة بعد ان استطاع اميرها محمد بن مغامس من انتزاعها من المشعشعين في عشرينات القرن السادس عشر. من أجل الحصول على البصرة كان متناوبا القبائل في البصرة ً ان الصراع من مابين القبائل من داخل البصرة من جهة والقبائل من خارج البصرة فقد سيطر المنتفق على البصرة ثم عاد المشعشعون السيطرة عليها مرة أخرى إذ استرجعوها في عهد المولى محسن ويبدوا ان الإمارة المشعشعية هي الحامية للبصرة آنذاك ولم يتخذ المشعشعون البصرة عاصمة لهم وذلك بسبب عدم التوافق المذهبي مع اهل البصرة (٣) .

استمرت اهمية البصرة الاقتصادية والاجتماعية في ظل الصعاب العسكرية المتنوعة بقيت البصرة إلى عام ١٥٢٤ تحت حكم ال مغامس الذين اتبعوا سياسة أبعاد القوى الإقليمية عن البصرة ولذا ليس من الصحيح عد البصرة منطقة نفوذ صفوية ولعل ذلك بسبب وقوف المشعشعون ضد النفوذ الصفوي بحيث لم تتح لهم الفرصة لمد نفوذهم للبصرة ومن المفيد ان ال مغامس نفوذهم من المنتفق وان امارة ال مغامس وصل نفوذهم للاحساء بسبب خوف حاكمها من الغزو البرتغالي حيث استنجد بال مغامس وقد استجاب راشد ال مغامس للطلب لكنه أقصاه من الحكم في المنطقة واحتفظ بحكم الأحساء لنفسه وهكذا نالحظ بان البصرة في القرن السادس عشر لم تكن خاضعه لحكم احد وانما لحكم قبائل عربية محلية وسكت النقود بأسم راشد ال مغامس(٤).

اما بالنسبة لموقفة مع البرتغاليين فإن موقفه ساعد على عدم تعرض البرتغاليين ولذلك لم تتح للبرتغال الفرصة للسيطرة على البصرة ولعل ماساعد على أبعاد خطرهم هو سياسة راشد ال مغامس اللبقة معهم ان البصرة كانت تمتلك موقع استراتيجي مه م يمكنه ا من ان تكون مركز

---

(١).علي ظريف ألعظمي، المصدر السابق، ص_ص٨٦_٨٧ .

(٢).محمد سهيل طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاص ر، المكتبة التاريخية، ط٢٠١٥، ص_ص٢٢_٢٥ .

(٣).)حميد حمد السعدون، امارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق، دار وائل للطباعة والنشر، ط١٩٩٩،ص ص ١١٨_١١٥ .

(4).حميد حمد السعدون، المصدر نفسه، ص_ ص١١٦_١١٨ .

اقتصادي عالمي مهم فقد كانت تلتقي جميع الدول العربية واغلب الدول الأوربية فيها مما ساعدها على النمو بشكل سريع ومثالي(١) .

ان راشد آل مغامس حاول انشاء اسطول بحري خاص بالبصرة ولكنه لم يفلح. ان بداية التدخل البرتغالي للبصرة في عام ١٥٢٩ عندما تعرض سكان البصرة للسفن البرتغالية وهي تدخل البصرة بعدما وعدهم ببعض التسهيلات لمساعدته ضد خصومه من ال عليان وقد كان التحالف مبني على اساس المصلحة(٢) .

(1).سلمان محمد حميد. البصرة في مرحلة السيطرة البرتغالية على الخليج، آداب البصرة، مجلة علمية محكمة.مجلد٢ العدد ٦٣، ٢٠١٢ ، ص_ ص ٣ _٥ .

(٢).سلمان محمد حميد، المصدر نفسه، ص ص١٣ _١٨ .

حسين عبيد المصطفى، المصدر السابق، ص ص٤٢ _٤٣

المبحث الثالث

البصرة في العهد العثماني الأول ومحاولة الانشقاق

إن الوضع القلق الذي كان يعيشه حاكم البصرة العربي مغامس بن مانع وهو أمير مشيخة عربية ، بين الأطماع الفارسية بعد احتالل بغداد عام 1508 ، والنفوذ الأوربي الذي امتد إلى منطقة الخليج العربي. دفعت به إلى التمسك بالسلطة والاعتماد عليها في كل الأمور لاسيما بعد أن احتل السلطان سليمان القانوني مدينة بغداد ذات الصيت الذائع عام 1534 مادامت قد ظهرت على المسرح السياسي قوة جديدة فتية في الشرق تشدها إليها رابطة دينية يمكن الاعتماد عليها.

ولم تكن طريقته في الولاء بعيدة أن تحمل مغزى سياسي معين تشير إلى طابع الإرغام رغبة منه في المحافظة على سلطاته وتعزيزها وأحيانا في الوقوف ضد أعدائه المجاورين، فضلاً عن رغبته في تفادي الأضرار التي قد تلحق في المدينة لو سلك طريق المقاومة المسلحة أمام هذه القوة الجديدة التي تسعى سلاطينها إلى مد نفوذهم إلى أواسط أوربا عام1529 في عهد السلطان سليمان القانوني وكانوا في الوقت نفسه في صراع مع الفرس والبرتغاليين في الخليج العربي والحدود الشرقية للوطن العربي(١).

فأنه أناب عنه ابنه عام 1539 ليحمل مفاتيح المدينة مع كتب بالولاء إلى بغداد حيث السلطان العثماني سليمان القانوني إن الصعوبة التي يوجهها محتل ما تفرز إشكالات عديدة ويتوقف نجاحه على مدى معالجتها ، من هنا فأن الطريق الطويل الذي سلكته القوات العثمانية ومصاعبه في الوصول إلى بغداد قد أنهكت تلك القوات إلى درجة أنها حيمت شمال المدينة وعلى الرغم من سهولة عملية احتلال بغداد ، فأن السلطان اضطر أن يرجع قواته فترة ليست بالقصيرة وان إلى البصرة وتجنب مجازفة السير في بقعة جغرافي ة ال يحملها متاعب أخرى في التوغل جنوب اً لم تألفها قواته وقد يجد مقاومة عنيفة تحول دون تحقيق رغبته وربما تكلفه كثيراً حيث الأهوار والنباتات المائية التي يمكن أن تعد مواقع دفاعية جيدة يعرف بها عرب المنطقة أكثر من غيرهم لذا فأن المبعوث البصري قد قوبل بارتياح في الأواسط الرسمية للقوات المحتلة في بغداد لهذا رفعت مرتبة البصرة الإدارية إلى درجة إيالة وقلدت المبعوث العربي نفسه حاكمية المدينة. إن الإجراءات ألانفة الذكر خدمت الطرفين العربي في البصرة والعثماني في بغداد ، فالحاكم العربي الفعلي ظل في الأول ى ، بينما تم قبول السيادة العثمانية الاسمي ة على المدينة . وعلى الرغم من محاولة السلطان تطعيم ذلك الارتياح والسيادة

المذكورة بشيء من الحزم ، فأن قبول الأمير العربي بشروطه هو أكثر ما أمكنه تقديمه من تضحيات للمحافظة على عروبة البصرة إزاء تلك التحديات الأجنبية(٢).

---

(١).سليمان فائق ، تاريخ المنتفق ، ترجمة محمد خلوصي الناصري بغداد _ مطبعة المعارف، ط1961،ص ص.٨٣_76.

(٢).عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين الاحتلالين، جـ4 (بغداد ـ شركة التجارة و الطباعة ـ 1949) ص ص ٣٢_٤٠ .

لقد كان والي البصرة يتحين الفرص من أجل التخلي عن تلك العالقة الضعيفة في الولاء مع وإعلان نفسة اميراً الدولة العثمانية وهو يتحين الفرصة والوقت المناسب للقيام بهذا الأمر مستق لاً لا يتب ع اي الدولتين)الصفوية والعثمانية(. لذلك وعليه فان والي البصرة قطع تلك العالق ة مع العثمانيين واعلن نفسة اميراً ال يوالي او يتبع اي الأطراف.

لقد شكل هذا الأمر تهديدا حيث ان هذا الأمر ممكنً خطيراً ان يؤدي إلى إعلان المناطق الآخر انشقاقها عن الدولة العثمانية وهو الأمر الذي ال يقبل به السلطان العثماني ولاسيما بأن هذه المنطقة تقع في نقطة خطيرة في أجزاء الدولة العثمانية الأمر الذي دفع السلطان العثماني ان يقوم بتسيير حملة بقيادة والي بغداد إياس باشا الذي اعد للحملة وانطلقت في ١٥٤٦)١(.

لقد اغاض أمر والي البصرة السلطان العثماني الأمر الذي ادى إلى تجهيز حملة عسكرية ضخمة من اجل الذهاب للبصرة والقضاء عليه. بالمقابل نجد تحصينات والي البصرة حيث انه قرر ان يواجه السلطات العثمانية في شمال البصرة من أجل ان يقوم بالاستفادة من الأهوار والطبيعة الطبوغرافية وكذلك حتى ال يشعر اهل البصرة بالفزع من الحرب لكن مقاومة الوالي كانت ضعيفة ألن الجيش العثماني كان يؤلف قوات ضخمة متجحفلة للبصرة كذلك اعتقد بانه ربما تساعده بعض القبائل العراقية إذا سمعت بالأمر.

قد انتهت الحرب مابين الطرفين كما هو متوقع لها حيث خسر والي البصرة الحرب بسبب قلة الإمكانيات كذلك عدم الحصول على التأييد الشعبي له وعدم قدرتة على جمع كلمة القبائل من اجل مساعدته . لقد أراد اياس باشا امتصاص غضب اهل البصرة فعمل على تخفيض الضرائب العثمانية ا لا ان الأمور لم تسير على النحو المتوقع رفضه اهل البصرة.

ان عدم مقدرة اياس باشا على إدارة الأوضاع في البصرة وعدم حنكته في التعامل معهم وعدم رغبة اهل البصرة له وعدم مقبوليته من سكان البصرة وعدم قضاء إياس باشا على حاكم سوف يؤدي الحقاً البصرة الذي قام بمقاومته (راشد بن مغامس) ثورة وان هذه الثورة سو ف تؤدي إلى الإطاحة بياس باشا وحكومته كذلك بروز عليان الذي كان له دور حاسم وبارز في مقاومة الدولة العثمانية و طرد حاكمها ا لا ان الدور الأساس ي كان لراشد بن مغامس قامت القوات العربية بتجنيد المقاتلين من أجل القضاء على الحكم العثماني للبصرة فتوجه راشد وعليان لطرد القوات العثمانية من البصرة بقيادة إياس باشا واستطاعوا طردهم لكن عودة القوات العثمانية

بقوة وتجهيزهم حملات ضخمة وبناء الحصون في البصرة أدى إلى القضاء على المقاومة البصرية وانهزام عليان وراشد وهروب راشد الى نجد (٢) .

---

(1).العزاوي، المصدر السابق، ص ٤٦_٥٠.

(٢).العزاوي، المصدر نفسه، جزء ٤، ص_ص٥٤_٦٦.

المبحث االرابع /

عودة التنافس العثماني الصفوي على البصرة

بسبب اهمية البصرة الاقتصادية والسياسية فإنها أصبحت مركزا للتنافس مابين الدولتين الكبيرتين أ لا وهما الدولة العثمانية والدولة الفارسية وبسبب رغبة الفرس في إعادة المدن التي كانت تحت سيطرتهم فإنها دخلت الحرب مع الدولة العثمانية من أجل استعادة ماهو حق لها من وجهة نظر نادر شاه (١)حيث ان اراضي البصرة تابعة للدولة الفارسية قبل مجيئ السلطان سليمان القانوني وطرد الحاكم على البصرة وتعيين حاكم تابع للدولة العثمانية ا لا ان بقاء الحاكم بسبب اقدام نادر شاه على شن حملات عسكرية ضخمة موجهه العثماني لم يستمر طويلاً للبصرة من أجل السيطرة عليها ا لا ان هذا الأمر لم يعجب سليمان القانوني حيث قام بتجهيز حملة عسكرية ودخل بموجبها العاصمة الفارسية.

لكن هذه الأوضاع لم تعجب نادر شاه واخذ بترتيب الداخل الفارسي من أجل شن هجوم وانتزاع البصرة من السيطرة العثمانية وعليه فد ارسل نادر شاه القائد الفارسي لطيف خان وبعد ثلاثة أيام تمكن القائد الفارسي من اخذ شط العرب من الدولة العثمانية وقد شاركت الدولة البريطانية في الدفاع عن البصرة واستطاعوا طرد الفرس ا لا ان العناد الفارسي كان له دور في إعادة الهجوم على كافة مدن البصرة عندما تجددت الحرب مابين الدولة الفارسية والدولة العثمانية في عام ١٧٤٣ حيث قامت القوات الفارسية بمحاصرة البصرة ب اثني عشرة الف جندي غير ان متصرف البصرة العثماني قد قرر مقاومة القوات الفارسية وبعد ان قاومت البصرة القوات الفارسية لمدة ثالثة أشهر قرر نادر شاه سحب القوات الفارسية من البصرة والعودة إلى الدولة الفارسية في عام ١٧٤٣ أ لا ان هذا الإنسحاب لم يكن انسحاب فعلي وإنما انسحاب تكتيكي لترتيب الداخل الفارسي ثم تكرار شن الهجوم على البصرة(٢).

استغل نادر شاه الضعف في الدولة العثمانية فقرر شن هجوم مفاجئ على البصرة من أجل نادر شاه القائد الفارسي لم يستمر بالحكم طويلا اغتياله(٣)استعادتها لكن وذلك بسبب على

الرغم من توقف الغزو الفارسي للبصرة في عام ١٧٤٣ ألا ان هذا التوقف لم يستمر طويلا حيث أقدم الفرس على إعادة سيطرته م على البصرة وذلك بسبب الضعف الذي دب في البيت العثماني الأمر الذي فتح شهية الفرس من أجل الزحف على البصرة واستعادتها

---

(١).امير حسين خنجه، تاريخ شاه اسماعيل صفوي، ايران، ط ٢٠٠٩، ص_ص٤_٥.

(٢).كولن تيرن ر، التشيع والتحول في العصر الصفوي، ت حسين علي عبد الستا ر، مركز تحقيقات كأميريتينا،

مكتبة الشيعة، ص ص ١٤٧_١٥٦ .

(٣).اغتيل نادر شاه في عام ١٧٤٧ على يد احد قادتة بعدما كان يريد تأ سيس مذهب في بالد فارس وكان هذا المذهب مابين الشيعة والسنة لكن هذا الأم ر لم يعجب بعض قادتة فأقدموا على قتلة في ١٧٤٧.

من العثمانيين حيث اكتملت فكرة الاحتلال الفارسي للبصرة في عام ١٧٧٥ حيث اقتنع الحاكم الفارسي الجديد كريم خان الزند(١)بوجوب مهاجمة البصرة أما أسباب الغزو للبصرة فإن الغزو لم يكن من فراغ وإنما أهمية البصرة إنذاك كانت تفوق أهمية بوشهر وهو الأمر الذي ادى إلى ازعاج كريم خان بسبب تدهور تجارته واقدام الحكومة في بومباي بإغلاق لوكالتها التجارية في بوشهر كذلك من الأسباب الآخرى التي أدت إلى توجه كريم خان الزند احتلال البصرة هوه تمرد الجيش الفارسي وتمرد قادته الأمر الذي ادى إلى اقدام كريم خان على زج قواته في البصرة من أجل ان يتخلص من ثوراتهم وخوفاً من ان يتعرض كريم ألنقالب عسكري والإطاحة به ومن الأسباب الأخرى التي ادت الى احتلال البصرة هو امتناع حاكم بغداد عن دفع الإتاوات إلى كريم خان.

إعد كريم خان الزند قوة عسكرية تقدرها بعض المصادر ب خمسين الف جندي من الخيالة والمشاة هاجموا البصرة من جهة شيراز بالإضافة إلى قوة بحرية وكان رد والي البصرة ان اقدم على طلب إلى قائد الأسطول العثماني الاستعداد من اجل مقاومة الغازي الفارسي وإرسال قوات من أجل الدفاع عن البصرة الا ان رد القوات العثمانية لم يكن بالمستوى المطلوب وإنما كان عبارة عن نية للتفاوض مع الدولة الفارسية وقدموا بعض التنازالت للحكومة الفارسية ومنها عزل والي بغداد عمر باشا بحجة انه إساء معاملة التجار الفرس اال ان هذا الأمر لم يؤدي إلى حيلولة كريم خان الزند من اجل العدول عن قراره وترك احتلال البصرة حيث انه أراد اظهار القوى للدولة العثمانية وإثبات بأن الدولة الفارسية هي دولة قوية وانه لم يعدل عن قرار ه وكان معتقد اً بانه سوف ينتصر بسهولة إذا اقدم على احتلال البصرة وعليه تقدمت القوات ًالفارسية في آذار عام ١٧٧٥ على العبور للبصرة(٢) .

أما بالنسبة لاستعدادا ت سليمان باشا متولي البصرة وحاكمها فقد كان يعمل على تعزيز تحصينات مدينة البصرة وترتيب قوات السكان والعشائر من أجل إيقاف الفرس وقد لعبت السعدون في الدفاع عن البصرة العشائر ولاسيما عشائر المنتفك وشيخها السعدون دورا وإقامة ًحاجز جسدي للدفاع عن المدينة أما بالنسبة لكريم خان الزند فأنه لجئ الى حيل الزندبين والالتفاف والمراوغة حيث انه عمل على اغراء والي البصرة سليمان باشا والبريطانيين بالأموال

للاخذ بنظر الاعتبار المصالح الفارسية ووجوب مراعاتها اال ان والي البصرة رفض تلك العروض التي وضعها كريم خان وقرر المقاومة بعدما طرد مبعوثين الزند منها (٣).

---

(١).كريم خان الزند، مؤسس الدولة الزندية في فارس، كان كريم خان أحد قادة نادر شاه الذي سقطت بلاد فارس في حرب أهلية بعد وفاته عام 1747 م، فاتخذ كريم خان من شيراز عاصمة لدولته خالل فترة حكمه من

1775م إلى 1779 م، واستطاع أن يمد نفوذ حكمه إلى كثير من مناطق ما يعرف اليوم بإيران كما احتل البصرة.

(٢).مصطفى عقيل، التطلعات الإيرانية في البصرة في عهد كريم خان الزند، رسالة ماجستير منشورة، قط ر، ص_ص ٣٦٧_ ٣٧٠ .

(٣).مصطفى عقيل، المصدر نفسه، ص_ ص٣٧٤_ ٣٧٦ .

بدأت الحرب مابين الطرفين في نيسان ١٧٧٥ ونجحت القوات البصرية في قصف قوات الزنديين بالمدافع قبل عبورهم واستطاعت إيقاف تقدمهم بالإضافة إلى الدور الذي لعبته القوات العثمانية في صد الهجوم على البصرة مما أدى إلى تفرقة الجيش الفارسي وضرب قواته وتفككها الأمر الذي ادى إلى هزيمة القوات الفارسية في البصرة وتلكؤها وانسحابها من البصرة الا ان العنجهية الفارسية لم تنتهي عند هذا الحد وإنما قررت القوات الفارسية شن هجوم على البصرة بعد ترتيب قواتهم مرة أخرى (١) .

وفي الوقت الذي بدأ فيه القتال مابين طرفي القتال حاول حاكم البصرة اخذ المساعدات من والي بغداد وكذلك الإعتماد على شيخ بني كعب(بركات) لكسبه إلى جانبه و لكن سرعان ما فشلت محاولات في التعاون مع بني كعب ألن شيخ بني كعب تنكر لمساعدة الوالي سليمان باشا وقاموا بشن هجمات على البصرة ونهب سوقها المركزي وحتى القيام بحملات على اهل البصرة(٢).

وعلى الرغم من أن خطوط الدفاع في البصرة استطاعت ان تصمد عاماً كاملاً لكن قوات الفرس تمكنت في ١٦ نيسان ١٧٧٦ من اختراق البصرة بقيادة علي محمد خان والبالغه ١٠ الاف والانتشار فيها وارسلت بعد دخول الفرس اليها صادق خان اخ كريم خان الزند ولم يكن متوقعا ان يرسل والي بغداد قوات للبصرة لأن بغداد ابتليت بقادة ضعاف نفوس ويمكن اغرائهم وًان والي بغداد الجديد مصطفى باشا كان ضعيفًا أيضا كسر شوكة المقاومةً بالمال وانه حاول تدمير أهل البصرة عندما ارسل لهم رسالة طالبهم فيها بالاستسلام تفاديا وحسب ما جاء فيً لونكريك فان والي البصرة قرر الاستسلام بعد هذا الكتاب (٣) .

وبعد دخول الفرس البصرة قاموا بممارسات عنيفة ووحشيه للسكان واستباحوا المدينة وهجروا السكان والتجار وأرسلوا بعض الشخصيات العراقية المهمة والتي تمسك زمام الحكم بالبصرة إلى شيراز وكان من ابرز الذين أرسلوا هو سليمان باشا الذي ارسل إلى الحكومة في شيراز ولم تقتصر ممارسات الفرس العسكرية على البصرة وحسب وإنما شملت الزبير حيث ذهبت اليها قوة عسكرية فارسية ودمرتها ونهبت المدينة وساهمت في أضعاف القوة العسكرية لهذه المدينة. بقيت البصرة تحت الحكم الفارسي إلى عام ١٧٨٠ حيث انتشر فيها الخراب وهجر اغلب اهلها المدينة ودمرت موانئها بحيث أصبحت موانئ ال قيمة لها وانتشر مرض الطاعون في ارجاء المدينة.

(١).مجموعة مؤلفين، الصراع العراقي الفارسي، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص _ص٢٣٠ _٢٣٤.

(٢)/https://ar.m.wikipedia.org/wiki الإلكتروني مصدر

(٣).لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ت جعفر الخياط، كاليفورنيا، مدير التعليم الثانوي بوزارة المعارف، ص ص١٩_ ١٥٦٠

(٤).علي ظريف الاعظمي، المصدر السابق، ص٢٠٧.

حيث تدهورت أوضاع السكان بنسبة كبيرة ومات عدد غير قليل بهذا المرض المعدي حيث وصل تعداد الموتى آنذاك إلى ربع مليون شخص بهذا المرض كذلك الأمر بالنسبة الاوضا ع البصرة المالية فلم يكن أحسن حاًال من الوضع الصحي المتردي في تلك الفترة حيث جمع الفرس كميات كبيرة من الأموال وارسلوها إلى شيراز وكانت هذه الأموال تجمع بالقوة والقهر والضرائب. بعد نهب البصرة بصورة كاملة من الفرس ترك صادق خان البصرة وامرها إلى علي محمد خان الذي لم تسلم البصرة من بطشه وعنجهية التي فاقت صادق خان (١) .

أما بالنسبة للموقف العثماني من الغزو الفارسي للبصرة فقد عد العثمانيين هذا العمل مخلاً بسيادتهم وعملوا على مقاومتهم وادخلوا دار الإفتاء العثمانية بهذا الأمر بحيث أفتي بضرورة مقاومة الفرس وضرورة طردهم كذلك ان العثمانيين قالوا بأن فقدان مدينة البصرة جاء نتيجة تساهل وتهاون والة بغداد ومنهم مصطفى باشا حيث عزل من منصبه ونفذت به عقوبة الإعدام بسبب تهاونه بالغزو وعدم مساعدة والي البصرة في صد الهجوم الفارسي بعدها تولى العثمانيين القيام بتخطيط عسكري من اجل ضرب القوات الفارسية (٢).

لقد نشب القتال في الجبهة الشمالية للبصرة مابين الطرفين واستطاعت القوات العثمانية شن هجوم على القوات الفارسية وانتصرت في بادئ الأمر الا ان القوات الفارسية استطاعت ان تعيد تنظيمها وطرد القوات العثمانية وقد كان عدد القوات الفارسية حوالي ا ثني عشرة الف جندي. بعدها حاول العثمانيين اللجوء إلى الأسلوب الدبلوماسي في حل هذا الأمر المعقد في العالقات نوعا لكسب الوقت إلعادة تنظيم قواتهم ولطرد الفرس ا لا ان المفاوضات مابي ن الجانبي ن قد فشلت وذلك بسبب تعنت الجانب الإيراني في المفاوضات ورفضهم الخروج من العراق بسبب الصراع الذي كان مابين الولاة العثمانيين الذي كانوا يتنافسون للحصول على بغداد وتأزم أوضاع الدولة العثمانية . ان من الأسباب التي أدت إلى سهولة غزو الفرس للبصرة هو ضعف الدولة العثمانية والترهل الذي اصابها بعد توقيع معاهدة مع روسيا كوجك كينارجي١٧٧٤ مع الروس (٣)وانتشار الجواسيس الفرس الذين عملوا على تحسين نظرة الناس للفر س

(١).ابن الغملاس، البصرة والتها ومتسلموها الى نهاية الحكم العثماني، بغداد، ١٩٦٢، ص ص٦٠_ ٧٤ .

(٢).رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ص ص . ١٧٠_ ١٥٦

(٣).كوجك كينارجي ١٧٧٤:معاهدة سالم بين روسيا والدولة العثمانية المنعقدة في 21 يوليو 1774 في معسكر قرب قرية كي تشوك كاينارجي التي تقع في بلغاريا المعاصرة. جاءت تلك المعاهدة في 28 مادة ومادتين منفصلتين، وقد أورد نصها محمد فريد في كتابه "تاريخ الدولة العلية"، وبمقتضى هذه المعاهدة ان فصلت خانية القرم عن الدولة العثمانية، وأصبحت دولة مستقلة،لا ترتبط بالدولة إلا قيام شيخ الإسلام في إسطنبول بتنظيم الشؤون الدينية للقرم، ونصت المعاهدة على منح الأفلاق والبغدان (روماني) الاستقلال الذاتي تحت السيادة العثمانية، مع إعطاء روسيا حق التدخل في اختيار حكامها.

وأعطت المعاهدة لروسيا حق رعاية السكان الأرثوذكس الذين يعيشون في البالد العثمانية، وكان هذا الاعتراف

ذريعة لروسيا في أن تتدخل في شؤون الدولة العثمانية. وألزمت المعاهدة أن تدفع الدولة العثمانية غرامات

حرب لأول مرة في التاريخ، فدفعت ١٥،٠٠٠ كيس من الذهب للروس .

والذين عملوا على اخبار الفرس بالأماكن المهمة بالبصرة كذلك الدور الذي لعبة إعداء العثمانيين في الخليج من اجل إسقاط الدولة العثمانية. كان من الطبيعي ان تؤدي سياسة الفرس التعسفية واستغلالهم للناس وبطشهم بهم إلى كره الناس لهم وتجميع الأسباب التي أدت إلى سقوط الحكم الفارسي للبصرة وكانت هذه الأسباب كفيله اساسياً بطرد القوات الفارسية من البصرة وقد لعبت عشائر المنتفك وشيخها ثامر السعدون دوراً وبارزا في عملية طرد الغزاة الفارسيين(١) .

وقد أدركت القوات الفارسية خطورة التحرك الذي قامت به عشائر المنتفك لذلك اقدمت القوات الفارسية على احتلال لواء المنتفك في عام ١٧٧٧ وبعد ان توغلت القوات الفارسية في المنتفك لكنهم اصطدموا بقوات السعدون في موقعة الفضيلة(٢) في نفس السنة لكنهم خسروا واضطروا إلى الانسحاب . وبعد الضعف الذي دب بقوات الفرس قرر قائدهم محمد علي خان مخاطبة ثامر السعدون من أجل إيقاف العمليات العسكرية ضد القوات الفارسية لكن ثامر السعدون قد أبدى بانه يوافق على هذا ألمر شريطة ان تنسحب القوات الفارسية من البصرة. وعلى اثر هذا الأمر قررت القوات الفارسية شن هجوم ثاني على لواء المنتفك ألن العناد الإيراني قد لعب دور اً اساسيا للعرب.ً في عدم خضوع الفرس لذلك قررت القوات الفارسية تشكيل جيش جرار بقيادة محمد علي خان الذي توجة من اجل القضاء على العشائر في لواء المنتفك لكن للمره الثانيه لم يستطع القائد الفارسي الوقوف بوجه القوات المنتفكية التي دعمت من القوات العثمانية وهزيمته امامهم وحتى انه قد قتل في المعركة التي عرفت بمعركة ابي حلانه التي انهت الحكم الفارسي للبصرة (٣) .

(١).دوحة الوزراء، المصدر السابق. ص١٦٨ .

(٢).مجموعة مؤلفين، الصراع العراقي الفارسي، المصدر السابق، ص٢٣.

(٣).موقعة ابي حلانه : وهي المعركة التي حدثت مابين القوات الفارسية والقوات العراقية بقيادة ثامر السعدون والذي انتصرت به القوات العراقية ودمرت القوات الفارسية تدميرا وقد وصفت هذه المعركة بأنها معركةً دموية مابين الطرفين استطاع بموجبها العراقيين باسلحتهم البسيطة طرد وقتل القائد الفارسي واسر اخوته كرهائن ولم ينج من القوات الفارسية سوى ٣٥ فارس فقط.

المبحث الخامس

أوضاع البصرة في العهد العثماني الثاني

بعد القضاء على قوات الممال يك ونفوذهم في عام ١٨١٣ كان السلطان العثماني محمود الثاني يريد فرض الحكم العثماني على الأجزاء التابعة للدولة العثمانية لكن هذه الأجزاء كانت سيطرة العثمانيين عليها ضعيفة ومنها والية بغداد والبصرة. لذلك عزم السلطان العثماني محمود الثاني على توجيه قواته العسكرية إلى العراق(١).

وعليه ومن أجل تحقيق طموح السلطان العثماني جهز السلطان العثماني حملة عسكرية بقيادة والي حلب علي رضا باشا وقد كان مرض الطاعون والكوليرا منتشراً في المدة التي توجه فيها علي رضا باشا إلى العراق . بعدما وصل علي رضا باشا الى العراق قرر تنفيذ سياسته الرامية المتبقين من حكم المماليك كذلك أيضا التي كانتً إلى القضاء على القضاء على الاضطرابات منتشرة انذاك وبسبب قوة الوالي العثماني وبطشه أصبح الناس يفضلون حكم المماليك بدًال من العثمانيين (٢).بعد ان استطاع القضاء على الاضطرابات توجه للحكومة الفارسية وطلب منها الالتزام ببنود معاهدة أرض روم األولى ١٨٣٢ التي كانت تنص على الالتزا م بحسن الجوار وعدم دعم المعارضين لكال الطرفين وتسليم الفارين من الحكومة العثمانية.

بعد ذلك قرر توجيه ضربة إلى مدينة المحمرة وشيخها إنذاك بسبب استخدام القوات البريطانية ميناء المحمرة لتهريب بضاعتهم من دون ان يدفعوا اجور كمركية للبصرة وكذلك التدهور الاقتصادي الذي لحق بالبصرة جراء هذا الأمر ولكي تعاد األمور إلى نصابها قبل ان تستولي القوات البريطانية على المحمرة قرر توجية حملة لضمها للبصرة وقد نجحت هذه الحملة الا ان إجراء علي رضا باشا لم تكن كافية لضم المحمرة للبصرة حيث ان المحمرة تميزت بالتمردات (٣).

عانت البصرة وأهل البصرة طيلة بقاء علي رضا باشا فيها حيث ان الناس كانوا ينتظرون انسحابه من البصرة بفارغ الصبر بسبب بطشه وقسوته واستغلاله هو وجنده للناس

الأمر الذي ادى إلى كره الناس لهم حيث ان السكان كانو مرغمين على تنفيذ مايريده وإذا رفض الناس ذلك يتعرضون للجلد (٤) .

---

(١).لونكريك ، ستيفن هيمسلي ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد 196، ص 315.

(٢).العزاوي، المصدر السابق، ج٧ .ص١٧ .

(٣).حسين خلف الشيخ ، تأريخ الكويت السياسي ، ج 1 (بيروت، 1962) ص 107 .

(٤).عبد العزيز نوا ر، تاريخ العراق الحديث ، القاهرة،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨،ص ص ٧٧ . ٧٨.

١_الاوضاع الاقتصادية للبصرة:

طبقاً لقد كان اهل البصرة يعملون في النشاطات الاقتصادية المختلفة للظروف البيئية التي تسمح ببمارسة النشاط الزراعي وكان لمناخ البصرة الاختيار في نوعية المحاصيل التي ممكن ان تزرع في هذه المحافظة هي اشجار النخيل بسبب قدرتها على مواجهة الظروف البيئية الصعبة المتمثلة بارتفاع درجات الحرارة بصورة لا تسمح بنمو نباتات أخرى لا تستطيع أن تواجه الظروف الحرارية الصعبة.

فضلاً عن النخيل فإن سكان البصرة كانوا يزرعون القمح والشعير وقد لعبت القوات العثمانية اساسياً في الحفاظ على ممتلكات البصرة من دورا الأشجار والثمار فعلى سبيل المثال ان نامقً باشا والي بغداد في عام ١٨٦١ أعطى الأوامر إلى والي البصرة محمد منيب من اجل اخذ النخيل من العراقيين الذين كانوا ينهبون ثروات البلد من النخيل ويهربونها للخارج كذلك الأمر حينما أعطى نامق باشا اوامره إلى منيب باشا من اجل الحفاظ على نقاوة هواء مدينة البصرة (١)

لقد كانت تربية المواشي هي الأخرى من الأشياء التي اشتغل واشتهر بها اهل البصرة وكذلك تربية الخيول وخاصة الخيول العربية وقد كانت تربية الخيول وتهريبها يتم بعمليات واسعة إلى الهند حيث ان أكثر من ٢٠٠٠راس يهرب للهند سنويا كذلك الأمر بالنسبة للحمير والبغال(٢).

٢_الحالة البنائية لمدينة البصرة

كانت مدينة البصرة مدينة محاطة بسور لايصلح للحماية وهو ضعيف وغير قادر على حماية البصرة من الاعتداء الخارجي ويتخلله ا خمسة ابواب وهي باب الزبير وباب السراجي وباب بغداد وباب سفوان وكانت مدن البصرة يستخدم فيها القوارب للنقل بين الاقضية والنواحي حيث نلاحظ بأن العثمانيين لم يهتموا لأمور البصرة العمرانية الا في عهد مدح ت باشا (٣) الذي لعب اساسياً وبارزاً في عملية بناء مدينة البصرة دورا والاهتمام بها وتوسيع المرافق الصحيةً والخدمي ة للمدينة.

(١). العزاوي، المصد ر السابق. ج٧، ص _ص ١٣٦_١٣٩ .

(٢).ألكسندر ادموف، والية البصرة في ماضيها وحاضرها، ت هاشم صالح التكريتي. ج١، مطبعة البصرة، ص ١٠ .

(٣).مدحت باشا. وهو أحمد شفيق ّمدحت بَاشا . سياسي عثماني وإصالحي ذو توجه موالي للغرب تولى مناصب عديدة منها الصدارة العظمى(رئاسة الوزراء) ووزي ر العدل وخدم قبلها واليا لولاية بغداد وولاية دمشق ووالية سالونيك . تم تعيين مدحت باشا والي اً على بغداد في عام 1869 فأخذ على عاتقه مد سيطرة الدولة العثمانية على بلدان الخليج لتشمل الكويت، قطر ، والبحرين ويحل النفوذ العثماني المباشر محل السعوديين في الأحساء ونجد. أثار هذا الأم ر بريطانيا التي كانت ترغب في الاصطدام مع العثمانيين، لأن ذلك يخرق السلم في البحار، وقد يؤدي إلى تدمي ر التجارة البريطانية، إضافة إلى المشكلات السياسية التي ستنجم عن هذه الحرب.

٣_الحالة الاجتماعية لمدينة

لا يمكن تحديد عدد سكان البصرة بالتحديد وذلك بسبب عدم وجود سجلات توضح فيها إعداد إعداد السكان في هذه الفترة كذلك ألمر بالنسبة لعدم إعطاء السكان أعمارهم ألسباب تتعلق بهم ولطبيعة سكان البصرة فقد كانت أعدادهم مجهولة لهذه الأسباب(١) .

٤_ الحالة الادارية لمدينة البصرة

كانت البصرة في العهد العثماني هي إحدى المتصرفيات التابعة لولاية بغداد وقد استقل ت عن والية بغداد في عام ١٨٥١ ولكنها لم تستمر طويلاً وعادت لتكون تحت سيطرة والي بغد اد. لقد تبعت مدينة البصرة متصرفيات كثيره ومنها العشار والسراجي ومهريجان ونهر خوز وابي الخصيب وقد استخدمها السلطان سليمان القانوني كقاعدة للصراع العثماني البرتغالي(٢) .

(١). ألكسند ر ادموف، المصدر نفسه، ج١ .ص١٢٩ .

(٢).احمد نور الأنصاري، النصرة في اخبار البصرة، تحقيق يوسف ع ز الدين ، بغداد، ط ١٩٦٩ .

ص_ص١١_34.

إيناس سعدي عبد الل ، تاريخ العراق الحديث ،، بغداد ،ط٢٠١٤، ص _ص ٢٢٣_٢٣٠

المبحث السادس

نهاية الغزو العثماني للبصرة

حكم العثمانيين العراق بصورة عامة حوالي اربعة قرون من عام ١٥٣٤ عندما فتح السلطان سليمان القانوني مدينة بغداد وطرد منها الحاكم الفارسي إلى عام ١٩٢٠ عند توقيع معاهدة معاهدة سيفر مع الحلفاء. في الأول من اكتوبر عام ١٩١٤ نزلت القوات البريطانية في البصرة عند اندلا ع الحرب العالمية الأول ى وإعلان القوات العثمانية وقوفها إلى جانب ألمانيا في الحرب. الأمر الذي ادى إلى إعلان بريطانيا شن الحرب على القوات العثمانية ألنها تسيطر منطقة مهمه في الخليج العربي وكذلك بسبب إعلانها دخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا(١) .

وقد كان الجيش البريطاني يتكون من مجموعة من الجند الهنود وقادة بريطانيين الذين نزلوا في الفاو دون مقاومة تذكر ولم تصدق الحاميات العثمانية نزول القوات البريطانية إلى البصرة ولم تقدم على مقاومتهم فقاموا بالهروب من الفاو وعندما بدأ تقدم القوات العثمانية في البصرة ووصولهم إلى القرنة وقعت معركة كوت الزين(٢)هي معركة حدثت بين المجاهدين العراقيين وطلائع الجيش البريطاني المحتل عام 1914م جنوب مدينة البصرة في منطقة ابي الخصيب واستشهد فيها ثلة من أبناء العراق. وقد أصدر مراجع الدين في النجف الفتوى بالجهاد ضد الاحتلال فه ب أبناء العشائر تلبية لدعوة القيادة الدينة وقد استشهد فيها مجموعة من أبناء العراق نتيجة قوة الأسلحة التي تستخدمها القوات البريطانية(٣).

لم يتمكن الحيش البريطاني من بسط سيطرته على البصرة، إلا بعد شهرين بإسناد من الشركات التجارية البريطانية الهندية وبمعاونة الجواسيس العاملين في القنصليات البريطانية. وم نيت القوات الغازية البريطانية بخسائر جسيمة على يد أبناء العراق وبمساندة الجيش العثماني في معركة الشعيبة في نيسان/ أبريل 1915كان لدى القائد العثماني سليمان عسكري حوالي ٤،٠٠٠ جندي نظامي وعدد كبير من القوات الغير نظامية من العرب والأكراد ، الذين ربما بلغ عددهم ١٤،٠٠٠٠.

ليصبح المجموع الكلي ما يقارب ١٨،000 شخصا. اختار سليمان مهاجمة المواقع البريطانية حول الشعيبة، جنوب غرب البصرة. كان التنقل بين البصرة والشعيبة صعبا بسبب ان الفيضانات الموسمية قد حولت المنطقة إلى بحيرة، ولذلك أصبحت التنقلات والحركة عن طريق القوارب.

---

(١).مريم ذغورا، التواجد البريطاني في العراق ١٩١٤_١٩٣٢ ، مذكرة لنيل الماجستير، جامعة محمد خضير، كلية التربية علوم إنسانية، ٢٠١٥، ص_ص ٢٦_٣٢ .

(٢).محمد طارق، شط العرب وشط البصرة والتاريخ، البصرة، ط١٩٧١، ص ص٩٤_٩٨ .

(٣).سيار الجميل، مئة عام من الاحتلال البريطاني للعراق مذكرة لنيل الماجستي ر، فلسطين ،١٩٩٦،ص_ص ٤_١١.

الحامية البريطانية في الشعيبة كانت تتألف من ما يقرب من ٧،٠٠٠ رجل في مخي م محصن يحتوي عل ى خنادق وأسلاك شائك ة. ف ي الساعة الخامسة من صبا ح الثان ي عشر من نيسان، بدأت القوات العثمانية هجومها بقصف مدفعي. وفي مساء ذلك اليوم وابتداء من ساعة غسق حاولوا الزحف من خلال ثغرات في الأسلاك الشائكة البريطانية، ولكن تم صده م. بصباح الثالث عشر من نيسان انسحبت القوات العثمانية إلى مواقعها في غابة البرجسية . في وقت الحق من اليوم التال ي أصبح واضح ا أ ن بع ض العثمانيين والمقاتلين العرب غير النظاميين كانوا يحاولون التسلل حول الشعيبة، وربما محاول ة الوصول إلى البصرة من خالل تجاوز المدينة. البريطانيون تحت قيادة الجنرال ميليس ولكن كان مصير تلك الهجمات العراقية الفشل(١).

تمكنت بريطانيا من أسر 400 مقاتل منهم وتشتيت البقية. بع د هذه المواجهة لم تشارك القو ت العربية الغير النظامية في بقية المعركة. سليمان باشا والقوات النظامية العثمانية تراجعوا إلى غابة البرجسية. في 14 نيسان، غاد ر البريطانيون الشعيبة للبحث عن القوا ت العثمانية المتبقية.

وبالفعل وجدوهم في البرجسية وابتدأ مساءاً القتال بينهم حوالي الساعة ١٠،٣٠ صباحا واستمر حتى الساعة 5:00 توجب على ميلي س تعديل قوات ه ف ي أرض المعركة وتحت النار للتقرب من المواضع مساءاً العثمانية. كانت نيران العثمانيين مكثفة وفي الساعة ٤،٠٠ كان الهجوم البريطاني قد تعثر. الجنود البريطانيون كانوا عطاشى وأخذت ذخيرتهم بالنفاد ولم تبدي القوات العثماني ة النظامية اي إشارة للتراجع أو الاستسلام. عندها أطلق ت كتيبة دورسيتس البريطانية هجوم ا بالحِراب حرا ب على الخطوط العثمانية ثم تبعته ا بقي ة القوات الهندية، الهجوم كان ساحقا مما اضطر العثمانيون إلى الانسحاب من أرض المعركة بعدها أقدم القائد العثمان ي سليمان عسكري على الانتحار بسب ب خسارته المعركة أمام البريطانيين(٢) .

كان من نتائج هده المعركة تعتبر معركة الشعيبة من المعركة الهامة ومن نتائجها أنها كانت المرة الأخيرة التي سيهدد بها العثمانيون البصرة حيث أن بعد هذه المعركة أصبح

زمام المبادرة والمبادءة بيد البريطانيين في البصرة . غيرّت المعركة أيضا من مواق ف القبائل العربية.
حيث بدءوا ينأون بأنفسهم عن العثمانيين واندلعت ثورات في وقت الحق في النجف وكربلاء وبقية مناط ق العراق ضدهم.

لم يبقى للقوات العثمانية منذ ذلك الوقت في البصرة مواقع بسبب سيطرة القوات البريطانية عليها وهروب القوات العثمانية باتجاه شمال العراق.

---

(١).ممدوح عارف الروسان، العراقيون والاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤_١٩١٨، جامعة اليرموك، ص_ ص ١٤٥_١٥٤.

(٢).عبد الكريم العلوجي، الصراع على العراق من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأميركي ،القاهرة، ط٢٠٠٧، ص ص١٢_١٤

استمرت عمليات الحرب العالمية الأولى انه الى جانب بريطانيا وفرنسا والولايا ت المتحدة الأمريكية واليابان ضد الدولة العثمانية والدولة الألمانية ولكن العزم والحزم الألماني ق د ساعد على استمرارية الحرب وأنهاء إمكانيات ألمانيا والدولة العثمانية ، بعد نهاية الحرب العالمي ة الأولى لم تنتهي سيطرة العثمانيين للبصرة وحسب وإنما انتهت سيطرتها على جميع المناط ق التابعة لهم في العراق وسوريا وبقية المناطق العربية المهمة وذلك بموجب معاهدة سيفر التي وقعتها الدولة العثمانية مع كل من بريطانيا (٢)وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية في 10 أغسطس 1920 هي واحدة من سلسلة معاهدا ت وقعته ا دول المركز عق ب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وقد كان ت مصادقة الدول ة العثمانية عليها هي المسمار الأخير في نعش تفككه اوانهيارها بسبب خسارة قوى المركز في الحرب العالمية الأولى، وتضمنت تلك المعاهدة التخلي عن جميع الأراضي العثمانية التي يقطنها غير الناطقين باللغة التركية، إضافة إلى استيلاء الحلفاء على أراض تركية، فقسمت بلدان الشر ق الأوسط حيث أخضعت فلسطين للانتداب البريطان ي ولبنان وسوريا للانتداب الفرنسي. والعرا ق للانتداب البريطاني(٣) .

(١).رياض الصمد، العالقات الدولية في القرن العشرين ، المكتبة المركزية، ط٢، ص٦٠_٦٧ .

(٢).فاضل حسين، التاريخ الأوربي الحديث ١٨١٨_١٩٣٩، العراق ،١٩٨٢،ص_ ص ٢٣٢_٢٣٣ .

(٣).وليام لانج ر، موسوعة تاريخ العالم ، ت محمد مصطفى زياده، ط١، مكتبة الشخصية المصرية، ص ٢٤٩٠

.

الخاتمة

اختم بحثي بحمد الله تعالى وتفضله وتوفيقة لي لكتابة هذا البحث المتواضع، لعبت العشائر البصرية ولاسيما عشائر المنتفك وشيخها السعدون دوراً اساسياً وبارزاً في عملية طرد الغزاة الفارسيين وحتى العثمانيين من غزو مدينة البصرة وان دور رئيس عشيرة المنتفق وحنكته وكره البصريين للغزاة وكيف استطاع زعيم المنتفك طردهم واستغلال كره الناس من أجل هذا الأمر ولايجب ان نتناسى دوره فهو تاره يلعب دور انه مع العثمانيين ليقود البصريين لطرد الصفويين وكيف انه تخلى عن العثمانيين ووقف مع اهل البصرة في طرد العثمانيين فهو لايدين بالولاء إلى اية امير وان ارتباطة ظل مع سكان مدينة البصرة حيث إننا نراه يقوم بتحصين حصون البصرة ليقف بوجة العثمانيين ويطرد الولاة العثمانيين الذين اتهمهم بأنهم سبب تخلف مدينة البصرة وسخر هذا الأمر في طردهم ومقاومتهم.

على ما يبدو بأن العثمانيين والصفويين عندما جائوا لمدينة البصرة أو إلى العراق عامة كيف سخروا الناحية الدينية في استغلال السكان المحليين وكيف كشف اهل البصرة حقيقتهم فنرى ان الصفويين عند مجيئهم للبصرة حاولوا استغلال السكان مذهبياً بقولهم أنهم من المذهب الشيعي وكيف عمروا القبور والمساجد الخاصة بالشيعة ونرى العثمانيين وما ساعدهم يحاولون استغلال التوجة الديني لسكان البصرة للتغلغل في مدينة البصرة عندما عمروا القبور الخاصة باهالي السنة في مدينة البصرة في منطقة الزبير(وأنا لا انكر ان ما ساعد الدولتين في هذا الأمر هو التنوع الديني والمذهبي الخاص بأهل البصرة فهم مقسمين على عدة مذاهب تساعد الغزاة على هذا الأمر وتسهل مهمة اي غازي خصوصاً إذا ارتبط الأمر بتأييد المنقذ لهم من عذاب الآخرة وان يدل هذا الأمر فيدل على مدى تكريس اهل

البصرة واحترامهم للجانب الروحي)، ونحن في حديثنا هذا نرى بان كل الغزاة لم يفضلوا السكان من وجهة نظرهم مثلما كانوا مهتمين باستغلال السكان من الناحية التجارية والاقتصادية وعندما أدرك السكان هذا الأمر اخذوا يقاومونهم ويقومون بتشكيل الجبهات لطردهم والتخلص من التخلف الذي نقلوه لهذه المدينة الغنية فقد عمل المحتلين على اختلافهم على نقل تراث البصرة إلى حكومة الباب العالي في إسطنبول والى ايران وعاصمتهم .

لم يتخلص سكان مدينة البصرة من الغزو العثماني والفارسي الا بعد ان ادركوا بأن الغزاة الفارسيين والعثمانيين لم يهتموا بالجانب الديني وإن ما اهتموا بمصالحهم لذلك نراهم يؤيدون البريطانيين ويقفون معهم عندما جاء البريطانيين بغطاء وحجة وهي تخليص سكان البصرة المحليين من الظلم والجور الذي لحق بهم جراء الغزو العثماني وان يدل هذا الأمر فهو يدل على مدى كره اهل البصرة للغزاة واستغلالهم ولكنهم لا يعلمون بأنهم بتأييدهم قد جائوا بغزو جديد لهم إلا وهو الغزو البريطاني، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر

(١).احمد نوري الأنصاري ،النصرة في اخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين. بغداد، ط ١٩٦٩ .

(٢).ابن الغملا س، البصرة والتها ومتسلموها إلى نهاية الحكم العثماني، بغداد ،١٩٦٢.

(٣).أمير حسين فنج ه، تاريخ شاه اسماعيل صفوي، تاريخ شاه اسماعيل صفوي، ايران، ط ٢٠٠٩.

(٤).الكسندر ادموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ،ت هاشم صالح التكريتي، ج١، مطبعة البصرة.

(٥).ايناس البهجي، الغزو المغولي لبالد المسلمين، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، ط٢٠١٧.

(٦).إيناس سعدي عبدالل، تاريخ العراق الحديث، بغداد، ط٢٠١٤.

(٧).حسين عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني، دمش ق، ط ٢٠١٢.

(٨).حسين خلف الشيخ، تاريخ الكويت السياسي، ج 1 ، بيروت ، 1962.

(٩).حميد حمد السعدون، إمارة المنتفق وأثرها على تاريخ العرا ق،دار وائل للطباعة والنشر، ط١٩٩٩.

(١٠).سلمان محمد حميد ، البصرة في مرحلة السيطرة البرتغالية على الخليج ، آداب البصرة ، مجلة علمية محكمة، مجلد٢ العدد ٦٣ .٢٠١٢.

(١١).سليمان فائق ، تاريخ المنتفق، ترجمة محمد خلوصي الناصري بغداد _ مطبعة المعارف، ط1961.

(١٢).رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي.

(١٣).رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين،المكتبة المركزية، ط٢.

(١٤).عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين الاحتلالين ،جـ4، بغداد ـ شركة التجارة و الطباعة - 1949.

(١٥).عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث، القاهرة ،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨.

(١٦).عبد الكريم العلوجي ، الصراع على العراق من الاحتلال البريطاني للاحتلال الأمريكي، القاهرة. ط٢٠٠٧ .

(١٧).علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ البصرة، القاهرة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

(١٨).فاضل حسين، التاريخ الأوربي ١٨١٨_١٩٣٩، العراق ،١٩٨٢.

(١٩).كولن تيرنر ، التشيع والتحول في العصر الصفو ي، ت حسين علي عبد الستار ،مركز تحقيقات كأميريتينا، مكتبة الشيعة.

(٢٠).لونكريك ستيفن هيمسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت جعفر الخياط، كاليفورنيا ، مدير التعليم الثانوي بوزارة المعارف.

(٢١).محمد طارق، شط العرب وشط البصرة والتاريخ، البصرة، ط١٩٧١.

(٢٢).محمد سهيل طقوش ، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، المكتبة التاريخية، ط٢٠١٥.

الرسائل والاطاريح

(١). .)مصطفى عقيل، التطلعات الإيراني ة ف ي البصرة في عه د كري م خان الزند، رسالة ماجستير منشورة، قطر.

(٢).مريم ذغورا، التواجد البريطاني في العراق ،مذكرة لنيل الماجستير، جامعة محمد خضير، كلية التربية علوم إنسانية،٢٠١٥ .

(٣).سيار جميل، مئة عام من الاحتلال البريطاني للعراق ، مذكرة لنيل الماجستير ،فلسطين ،١٩٩٦.

المصادر الإلكترونية

https://ar.m.wikipedia.org.

https://ar.m.wikipedia.org.